لا شك في ان مرحلة ظهور «الجبهة الشعبية العربية»، و«حركة الارض» مثّلت تطوّراً رئيساً في العمل السياسي العربي، من حيث التنظيم، ومن حيث الفكر السياسي أيضاً. وكانت حركة «أبناء البلد» التي أُنشئت العام ١٩٧٢، أكدت في برنامجها على المحافظة على الهوية الوطنية الفلسطينية، والوقوف في وجه طمس هذه القضية، وان منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. كما انعكس نموّ الشعور القومي وتبلوره لدى العرب في اسرائيل بشكل واضح للغاية على مواقفهم السياسية على المستوى الداخلي، ممّا دفعهم الى تأييد المعارضة، على اختلاف اتجاهاتها، أكثر فأكثر، خاصة الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي حتى العام ١٩٦٥، وراكح فيما بعد، بعد انشقاق الحزب)، وهو الذي تزعّم حركة الدفاع عن حقوق العرب في اسرائيل، وقاد نضاله خلال فترة طويلة. فـ «راكح» كان الحزب الاسرائيلي غير الصهيوني الوحيد الذي سمح له بالعمل رسمياً في اسرائيل. وبصفته هذه، وبحكم وجوده في المعارضة، وكذلك بحكم احتلال عدد من الكوادر العربية مراكز قيادية فيه، وجدت الجماهير العربية فيه العنوان الرئيس لتلقّي تظلماتها؛ بينما عمل الحزب كل ما في وسعه للدفاع عن القضايا العربية، منذ العام ١٩٤٨ وحتى اليوم. ونتيجة لذلك، كوفىء الحزب بمزيد من الاصوات العربية لصالحه، في كل انتخابات الكنيست أو السلطات المحلية[٥٧].

ومنذ اقامة اسرائيل، وحتى مطلع السبعينات كان ماكي/راكح يخوض معاركه الانتخابية ضد ازلام الحكومة أساساً، الممثلين، الى حدّ ما، بالقوائم الانتخابية المرتبطة بالسلطة (حزب مباي) سابقاً، ثمّ التجمّع العمّالي «المعراخ». ويلاحظ من متابعة نتائج «حروب» الانتخابات العامة بين الطرفين، ان الغلبة، في بداية الامر، كانت للقوائم العربية المرتبطة بالسلطة التي كانت تحصل على اكثرية الاصوات العربية، وانْ كانت هذه الاكثرية تقل من انتخابات الى أخرى. ومع بداية السبعينات، ظهر التحوّل واضحاً في موقف العرب نحو مزيد من الراديكالية، دفعت «راكح» الى المرتبة الاولى، من حيث نفوذه في الشارع العربي[٥٨]. ففي انتخابات الكنيست الثامن (١٩٧٣) حصل «راكح» على ٤٢٦٤٢ صوتاً، ٣٦,٩ بالمئة من مجموع اصوات الناخبين العرب، في المناطق العربية الصرفة، الذين اشتركوا في الانتخابات، بينما حصلت القوائم العربية المرتبطة بالمعراخ على ٣١٥٢٥ صوتاً(٣٦ بالمئة)[٥٩].

بديهي القول، اذاً، ان نضوج الظروف لفرض توجّهات جديدة لدى العرب في اسرائيل كان من حصيلة التطور المتواصل للمواقف السياسية وبلورة مؤسسات وهيئات شعبية تقود النضال الجماهيري. واذا كانت حرب العام ١٩٦٧ أرست الاسس التي ذكرناها، فلقد جاءت حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ بتأثيراتها الهامّة على الصعيدين، العسكري والسياسي؛ كما أدّت الى مسّ «هيبة» اسرائيل، وضعضعت مركزها على الصعيدين، الداخلي والخارجي. وكان لتلك التطورات تأثيرها الواضح في موقف العرب في اسرائيل. فقد حدثت تحولات وقفزات نوعية تتعلق بأساليب النضال وأهدافه. فـ «الاقلية العربية» التي كانت تناضل من اجل حقوقها الحياتية، صارت تؤكد انها «جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني كله، ليس من حيث المنشأ والهوية فحسب، وانما من ناحية النضال السياسي، أيضاً»[٦٠]. كذلك تأثر موقف العرب في اسرائيل بما نجم عن تلك الحرب من «اعتراف العالم بالقضية الفلسطينية و[تأييده] لاقامة دولة فلسطينية في [الضفة وقطاع غزة] بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية»، ثمّ «ادانة اسرائيل في الامم المتحدة، وعزلها عن العالم، والافتراض بأنها تضعف تدريجياً وتغرق»[٦١].

وهكذا، يتبيّن لنا ان حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ احدثت تحوّلاً سياسياً لدى العرب